مكتبة المقتطف

الوساطة الروحية

تأليف عبد اللطيف محمد الخياطي — ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير — ثمنه ٣٦ قرشاً

طبع بمطبعة كرستنا تدرلس بالقاهرة

سلني بالحديث عن عالم الروح فديتها . لقنتها طفلاً عن عجائز الأسرة ليالي كنت أجلس إليهن صغيراً فيفضين في كلام ما كان أحبه الى نفوسنا وأحرصنا على البدار إليه وذكر أننا ما انصرفنا عنه الا محولين على الاكتاف بعد أن يثقل منا الكرى رؤوساً وجفوناً.

ولفظنا البيت الى الكتاب فاذا الفقيه أستاذ مقصود في القرية يعرف من الامر شيئاً وما أنسى ذلك اليوم ، وكنت بين نفر من لداتي نرقب انصراف جموع المصلين من صلاة الجمعة، إذ طالعنا «سيدنا» بقامته المديدة وفي ثوبه الفضفاض فلم نملك فراراً، وأقبلنا خفافاً الى يده لاثمين، واتضمنا حوله خاشعين، ننتظر أمره فينا. فهي يعتمد على أمدنا قامة، وأصلنا عوداً، وقلوبنا نحن أثره . ولم نبعد كثيراً حتى وجدنا أنفسنا في ظل منزل عامر لوجيه عرف الموطنون حوله منذ أيام ، أن له شاغلاً يشغله . واقتحم بنا الشيخ ساحة الدار إلى غرفة مزودة بمجمر ، وأحطنا بالنار بأكف ممدودة يترجرج في مقعرها مداد براق عنقت به أبصارنا وما ندري شيئاً . وحرجنا يسأل بعضنا بعضاً ، فألقى إلينا كبيرنا نبأ ما نجهل ، وأننا كنا في انتظار روح يتحدثنا ونأخذ عنه ما يجلو لوجيه غامض أمره.

ومضت الأيام وإذا الحديث نسمعه في حوار آنق وأكثر تفصيلاً من أستاذ لنا في المرحلة الابتدائية ، كان ذي علم بالقليل ، ولكنا حسبناه عندها العلم كله ، وكنا نخرج بما نسمع فيلتف بنا الرفاق فنحدثهم في زهو وهم من حولك صامتون ، وما أظننا كنا أمناء

فيما ننقل عن الشيخ فقد كان يحلو لبعضنا أن يفسح لخياله أن ينسج فيزيد .

وامتدت يدي إلى الكتب قنية ، منها شيء في الروح ، فعرفت كثيراً ولكنه كان غير مغن .

ودارت الأيام وإذا لي في الحياة صديق ، أكثرت من الجلوس إليه مع النهار في مكان عمله ، وعرفت له ميولاً روحية كان يغذيها بدراسات متصلة وقراءة دائمة ، وكان هذا الصديق الاستاذ « الدمياطي » مؤلف هذا الكتاب . وأحب أن أسبق هذه الكلمة ، ذلك أن الصديق لم يكن كاتباً ، ولا أشينه ، حين عرفته . وأذكر أن بين يديَّ الكلمات كتبها إليَّ عرفت فيها طابعه الكتابي وسبيل قلمه . ولقد حدثك هو عن نفسه في صدر مؤلفه حديثاً أحب أن تعود إليه لتشاركني الرأي فيما أنا حاكم فيه !

لست داعية لفكرة حين أقول إن المؤلف حين كتب هذا الكتاب غيره في جميع ما كتب ، أو قل إنه في هذا الكتاب ذو لون غير لونه ، وطابع ليس منه طابعه . وما أظن الأشهر التي احتجب عني فيها هي مصدر هذا التغير منه ، ولا في مثلها يمضي التعلم الى منتهاه .

ولم يكن هذا الرأي رأيي وحدي ، بل سمعته من صحْب يعرفون المؤلف معرفتي في عهديه .

تُرى أتؤمن بما آمن به الروحي « الدمياطي » من أن مرد الأمر الى روح حال ، هو الذي أملى عليه توجيهه وإرشاده ؟ أم نحن على إيمان آخر ؟

ما أظن أن بين الايمانين فرقة وتضاداً ، فهو ينطق بلسان الروح ، ونحن ننطق بلسان العقل ، والروح وجدان وشعور ، والعقل محسات ومقيسات ، وهو صادق فيما يدَّعي ، فهو في غمرة روحية ملأت عليه كل ما يعيش فيه ، ونحن على حق حين نتوقف لأنا لم نحط بخاصه فلا تسليم إلاَّ بعد علم ، والعلم يعرف الممكن والمحال وهما رسيلتاه إلى الحكم .

وأخاف أن يجرني الحديث إلى الكلام عن الروحانيات تأييداً أو تفنيداً ، وإن وجدت مادته فلن أجد من صفحات المقتطف متسعاً .

والكلام عن الكتاب واجب والتعريف به نافع :

أفاض المؤلف وكاد لم يترك لمستزيد مزيداً . فتحدث عن الوسامة الروحية في التاريخ، ثم عنها من الناحيتين العلمية والعملية ، كما تحدث عن العلاج الروحي وألوانه . ثم عرض للروحية في مصر . ولم يلق القلم قبل أن يقف في خاتم الأبواب يناقش المعارضين ويحاجهم .

فأنت تراه قد قال كثيراً ، والناس في حاجة الى هذا الكثير ليشبعوا رغبة، ويصلوا إلى ما يريدون من إيمان أو كيقان . ولكن شيئاً آخر جدير بأن يقال ويذاع . فقد زارني صديق نابه درس في مصر وأوربة ، جامعي بارز ، وكان قرأ الكتاب قراءة منتفع، ودار الحديث بيني وبينه فإذا هو معجب بعادة الكتاب معظم لها ، وإذا هو يحمل مع رأيه رأي قريب له في مكانته، يشركه في إعجابه وإعظامه ، وإذا هو يسألني أن أصل حبله بحبل المؤلف يؤدي له الحق معه الشكر موفوراً .

ما أحوجنا إلى أن نقرأ ، وما أحوج هذا الجيل إلى أن يلتفت إلى كل ما ينشر . وما أحوج الجميع إلى أن يقرءوا العبد اللطيف ما كتب ، فهو ثمرة عام أخلص فيه لما يدين به واستجاب لوحي الموحي ، فهجر ميدان عمل رازق ليس له غيره إلى غرفته في بيته حيث يستمع إلى إملاء الملي . لا يريد غير أن ينفع ويفيد . وليت لنا مع كل مؤمن بفكرته هذا الإخلاص وتلك التضحية . إذاً لأفلح الداعون .

ابراهيم الدسوقي

غرام سنوحي

تأليف يوسف كمال محمد أبو زيد — ١٥٨ صفحة من القطع الوسط — مطبعة زهران بمصر

جميل أن يتجه بعض الأدباء نحو التاريخ المصري القديم فيستلهموه صوراً تعرض من جديد فيه في ماضينا البعيد ما لو استطاع الكتاب أن يتناولوه تناولاً فنياً لكان ثروة لا تقدر يغني بها الأدب المصري الحديث . ولذلك اتجه مؤلف هذه القصة هذا الاتجاه فعرض صورة قديمة في أسلوب رشيق وإطار رقيق .

ولعله يخطو خطوات ثابتة في هذا السبيل بعد أن يثبت أقدامه في عالم الفن القصصي ويتمكن لخياله من الامتداد والتحليق حتى يقع على الرائع من صور الماضي الغني الوفير فينقله في ابتكار فني قدير ، وعرض بالغ حد الجودة في التعبير والتصوير .

طريق المجد للشباب

للاستاذ سلامه موسى — منفحة ٢٣٢ صفحة من الحجم المتوسط — المطبعة العصرية بمصر

إذا رغبت أن تفهم الحياة على انها صراع بين آراء ، وكفاح في سبيل بلوغ الكمال العقلي ، وإذا أردت أن تحيا الحياة كلها — لا نصفها ولا ربعها — وإذا شئت أن تنال منها غاية السعادة المخلدة المؤبدة ، فعليك بكتاب « طريق المجد للشباب » الذي صدر أخيراً للأستاذ سلامه موسى ، فانه كتاب قد لا يبلغك المجد أو السعادة أو العزة ، ولكنه حتماً سيرشدك الى السبل المؤدية الى تلك الغايات النبيلة .

فهو كتاب يحتوي على مئتي فصل قصير أو مقالة موجزة ، تنهض كل منها على رأي وفكرة وتوجيه أغلبه سديد ، ويدور كل باب منه حول نظرية مستحدثة في موضوع من الموضوعات التي تعرض لنا في الحياة يوماً إثر يوم . وهو كتاب فلسفة ، فلسفة حية ذات قابلية للارتقاء والتسامي والتعالي ، فلسفة تدرك الواقع الماثل ، وتتطلع الى المستقبل المُدرك ، وتتوسل الى بلوغ ذلك بأساليب في متناول اليد وعند كل مرىء منا .

***

ومن فلسفة سلامه موسى أن للنوم هو ممارسة يومية تكاد تكون موتاً ، فاذا أفرط فيها المرء صار نصف ميت لأنه يؤثر الغياب عن الدنيا وعن اهتماماتها وشاغلها بالجوء الى حالة غيبوبة تامة ، وهو لذلك ينصح بالاقلاع عن النوم في القيلولة لأنه مجهدة للنفس ومضيعة للوقت .

ومن فلسفته كذلك أن لا يكلف الشاب على اكتساب المال ستاره غاية في حد ذاتها ، بل يتعين عليه أن ينفقه وينتفع بالتجارب التي تترتب على انفاقه . ولكن ليكن صرف المال بغير سرف ممقوت أو طيش مطلق من القيود الأدبية .

وهو يدعو الناس جميعاً الى مطالعة سير العظماء لأن هذه السير تحفز القارئين على المحاكاة والتشبه بالممتازين ، أما حياة الخمول والدعة التي تأتي بها القهوات والمشارب العامة فهي مفسدة لا يصح للشاب أن يدرّب نفسه عليها منذ حداثته .

والأستاذ سلامه موسى يدعو الى الاستمتاع بالطبيعة بمظهرها ونضرتها ، بشمسها وقمرها ونجومها ، بهوائها النقي وبساطتها المحببة ، ويدعو الى محبة الحيوان والرفق به ويدعو الى التأنق في الحياة أناقة تشمل المطالعات التي يقبل الشاب عليها ، وتشمل الملبس والمشرب وغيرهما . لأن الأناقة تشعر الانسان بالحياة وتكسبه احتراماً وتضفي عليه شخصية ذات عنفوان .

ثم إنه رسول للحب وللاخاء وليقظة الضمير في الشؤون الشخصية والاجتماعية ، ورسول للثقافة ولتحرير المرأة من قيود الرجعية القاتلة ولتحرير العقول من تافه الفكر وروا سب الخرافات الضارة .

* * *

وهكذا دواليك من فلسفات المفكر الكبير سلامه موسى ، يسوقها اليك في جزالة تكاد تبدو ناعمة ، ويقدمها لك في « برشامة » وقد تعمي الأستاذ سلامه تؤلفات نفساً لا يمكن استنصاء مداه ، لأنه علّمني أن الحياة مع ما تطويه من قساوة ودواعي قنوط ، أهل لأن يعيشها المرء ، ولأن يقبل عليها ، ولأن يكيّفها التكييف الذي يخفف من غلوائها عيونها . إذا كنت قاصر الثقافة ، علّمك أن الشجاعة لا توازي شيئاً ، وأن أمامك سني العمر تستطيع فيها أن تهذّب نفسك بنفسك ، وتعوّض ما فاتك من تقصير . وإذا كنت فقيراً فإن لك إن المال المخزن كالجثة الهامدة ، كلاهما ميت .

ربما كنت تعاني قصوراً في شخصيتك دلّك على وسائل ملافاة هذا التصور نفسك وبغير تدخير من غيرك .

* * *

فالأستاذ سلامه موسى مربٍّ مربٍّ جليل . وكتاب « طريق المجد للشاب » هو مفروسة من مدارسه الكثيرة التي يتعلّم فيها الآلاف ويتخرّجون ويفيدون موارد فكر لا ينضب معينه .

روحي فيلبي

١ — معجم عطية — في العامي والدخيل

تأليف الشيخ رشيد عطية (ساو باولو) صفحاته ٥٦٣ من القطع الكبير
— دار الطباعة والنشر العربية — ساو باولو برازيل

عرفت الشيخ رشيد عطية على مقعد الدراسة إذ تعلمت قواعد اللغة في كتابه القيِّم « الإعراب عن قواعد الإعراب » وهو سبعة أجزاء اقتنيت غيرها وتزوَّدت بسواها لكني لم أجز الفائدة التي جنيتها من هذه الأجزاء التي تبحث في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض .

ومرَّت السنون تتقفوها السنون وأنا أجهل الربع الذي يقيم فيه الشيخ عطيه حتى شرعت منذ أربع سنوات في تصنيف كتاب (الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية) صنواً لكتابي الذي صدر عام ١٩٤٦ عن العرب في أمريكا الشمالية، وأخذت أجاذب اخواناً لي أوفياء ممن يقيمون في البرازيل حبل المراسلة فبدا لي أن الشيخ رشيداً ما زال على قيد الحياة وقد أسَّس في ساو باولو صحيفة يومية كبرى باسم (فتى لبنان) أولاً ثم (برازيل - لبنان) بعد لأي من السنين .

وكشفت المراسلات التي دارت بيني وبين نفر من أدباء المهجر عن دنوان الشيخ عطية فراسلته في الموضوع الذي حشدت له جهودي ، وركزت مجهودي، ولشهر خلا حمل إليَّ بريد المهجر نسخة من (معجم عطيه في العامي والدخيل) لواضعه إمام (الضاد) في البرازيل مرتباً على حروف الهجاء كثر المعاجم الحديثة فجاءت هذه الرائعة المهجرية حجة على أنَّ الفصحى التي نزل بها الكتاب العزيز ليست بعاجزة ولا بقاصرة متى تعهدها نابغ عبقري « وإن مصيبة العربية في جمود علمائها الذي وقف حاجزاً دون تقدمها » [1].

ولا جدال في أن الشيخ رشيد عطيه « قد سجَّل إسمه [2] في كتاب الخلود » في

(١) الاستاذ نظير زيتون في العدد الخاص من (برازيل — لبنان) الذي أصدرته لجنة تكريم الشيخ رشيد عطية عام ١٩٤٨

(٢) الأستاذ فوزي ديبي في العدد الخاص من (برازيل — لبنان) الذي أصدرته لجنة تكريم الشيخ رشيد عطية عام ١٩٤٨ .

سجلّ النابغين القلائل الذين صنّفوا المعاجم فأتوا بمعجزات طالما استعصت على المجامع العلمية والندوات اللغوية ، وإنه ليصدق على جمرة هؤلاء العلماء ما قاله كونفوشيوس حكيم الصين عن نفسه : « إنه في سيره وراء المعرفة والعلوم نسي طعامه وأفراحه وأحزانه حتى أنه قضى العمر منقباً دون أن ينتبه إلى أن شمس حياته قد قاربت المغيب » .

ولقد قضى المدقق والمنشىء الكبير الشيخ رشيد عطية أيامه بين الحابر والأقلام ولياليه في الدرس والتقصّي ، لا ليوجد لنا معجماً ينحو فيه من سبقه من أساطين اللغة ، بل ليسدّ ثغرة ، ويبني سدّاً يرد سيل الكلمات الأعجمية .

لا أقول عن هذا المعلّم العصامي إنه وحيد عصره وفريد زمانه أو إنه أتى بما لم يأته الأولون والآخرون أو إنه حلّ المعضلة التي تتخبط بها العربية واستعصت على علمائها ، ولكني أقول إنه فتح باباً ومهّد طريقاً ، وكم من الذين يدّعون الأمامة اللغوية لا يعملون ويتباكون من يعمل ، فمعجم عطية بمنحاه فتح في معالجة الأوضاع المستحدثة ، ومدرجة لمن يريد الاغتناء والتوسع والدرس ، وحسّة للذين لا يقيدون اللغة بغير المحكمات والمناقشات » .

إننا بعد هذه الكلمة العابرة ، نحيي الامام اللغوي الشيخ رشيد عطية ونكرّم فيه علمه الصامت ، وعمله الذي يعد فتحاً مبيناً للغة العربية ، ونصراً لها . فقد أوضح ما أشكل وبسّط ما أبهم ، وقرّب ما بعُد عن مفاهيم الناس من أصول اللغة العامية وردّه إلى أصله ودلّ على مصدره ومنبعه ، ونسأل الله أن يمدّ في عمره ليعمل في حقلها ، ويؤدي رسالته على أحسن وجه ، ويدفع عنها عوادي الأيام ، ويسخي على خزانتها ما أضفاه في شبابه وكهولته من آثار رائعة ، وقطوف يانعة .

٢ — تراثنا الاجتماعي — وأثره في الزراعة

تأليف الاستاذ حليم دمّر صفحاته ١٦٠ من القطع المتوسط

مطابع دار الكشاف — بيروت

تقلّب الاستاذ حليم دمّر في وظائف كبرى أبرزها ، على ما أذكر ، كرسي الدائرة الزراعية في جامعة بيروت الأميركية ، ومديرية الزراعة والمعادن والحراج العامة في لبنان ،

وخبيراً فنياً لوزارة الزراعة السورية في دمشق. ومن عرف الأستاذ نجاراً معرفتي الطريفة به عرف فيه المثل الأعلى للشاب العربي المثقف الواعي.

وفي صيف هذا العام نشر الأستاذ نجار كتابه (تراثنا الاجتماعي — وأثره في الزراعة) حسر به الثام عن مشاكل العرب الاجتماعية وأمراضهم الاقتصادية وتقاعسهم الزراعية. وقد استهلّ كتابه بالآية الكريمة: «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم». وانبرى ينادي بني قومه الغاطين في غفوتهم الدهرية، اللاهين في جدلهم البيزنطي، نداء المصلح الغيور، معالجاً مشاكلهم على إختلاف مناحيها، وتلاوينها، وواضعاً أصبعه على مواطن الداء وفي هذا الصدد يقول:

«... وبعد اشتغالي عدة سنوات في حقل الاصلاح الزراعي، وبعد احتكاكي المتواصل وتعرّفي بالفلاح وعقليته وتفكيره، وبعلاقة الزراعة بعقلية الشعب، وبالأمور الاجتماعية العامة، بتّ أعتقد أن النهضة الزراعية تتطلب أعمال مصلحين اجتماعيين، يمهّدون الفلاح لقبول الإصلاح، ويمهدون السبيل للنهوض الزراعي والانتعاش الريفي بقدر ما تحتاج إلى دراسات فنية ومشاريع هندسية».

ولم يقصر الأستاذ نجار بحثه على الأقانيم الثلاثة (الفلاح، والزراعة، والأرض)، بل تناول في بحثه الصريح المرابعة وملكية الأرض، والتراث الديني وأثره في الزراعة، والعقلية الأدبية، والدولة والحكم، والحياة العائلية، والمدرسة وأثر كل منها في الزراعة.

ولا أراني في هذه العجالة المقتضبة، قد وفيت هذا الكتاب الجامع لأمراضنا وعللنا في الشرق العربي حقه من العرض والتفصيل، إذ أن موضوع الكتاب، جملة وتفصيلاً جدير بكل عربي واعٍ هدفه الاصلاح وتحطيم الأوضاع التي يقوم عليها المجتمع العربي المهلهل أن يقرأه فيرى في فصوله زحوفاً من الأمراض والعلل التي تألبت على هيكل الفلاح العربي في كل قطر ومصر، وقادته الى هذا الفقر المدقع وصيرته هذا المصير المحزن، وجعلته في مؤخرة شعوب الأرض المتطلعة للوثوب والسائرة قُدُماً في ركب الحضارة والتقدم والاصلاح.

وليصرف الداء الذي هدّ هيكل الفلاح ورجع بتراثنا الاجتماعي التهتري فيعالجه بالدواء الناجع، ويتدارك الأمة وفي أعطافها رمق، والا ندم دعاة الاصلاح حين لا ينفع الندم إذ

تداركوها وفي أعطافها رمق فلن يفيد اخضرار العود أن يبسا

(عمان — المملكة الاردنية الهاشمية) انيس المقدم